العددِ 20 شباط 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.20 Feb.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الاستلاب الفكري في ضوء الفكر الإسلامي (المظاهر وسبل المعالجة)

أ.د قتيبة عباس حمد
كلية التربية للبنات/ الجامعة العراقية
م.م آيات حسين علي
كلية العلوم الإسلامية/ الجامعة العراقية

Intellectual Alienation in Light of Islamic Thought (Manifestations and Methods of Treatment)

Prof. Dr. Qutaiba Abbas Hamad
College of Education for Women/Iraqi University
Assistant Lecturer Ayat Hussein Ali
College of Islamic Sciences/Iraqi University

المستخلص باللغة العربية:
يتناول هذا البحث قضية الاستلاب الفكري بوصفها من أخطر التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة، لما لها من آثار عميقة في تشكيل الوعي، وتوجيه السلوك، وإضعاف الهوية العقدية والثقافية. ويهدف البحث إلى بيان مفهوم الاستلاب الفكري في ضوء الفكر الإسلامي، والكشف عن أبرز مظاهره في الواقع المعاصر، وتحليل أسبابه ودوافعه، مع التركيز على تأثير العولمة الثقافية، ووسائل الإعلام، والهيمنة الفكرية الغربية.
وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع المفهوم في اللغة والاصطلاح، وتحليل النصوص الشرعية، وأقوال العلماء والمفكرين المسلمين، وربط ذلك بالواقع الفكري والاجتماعي للأمة. كما تناول البحث مظاهر الاستلاب الفكري، مثل تقليد النموذج الغربي، وازدواجية الهوية، والاغتراب الثقافي، وضعف الانتماء الحضاري.
ويخلص البحث إلى أن الفكر الإسلامي يمتلك منظومة متكاملة لمعالجة الاستلاب الفكري، تقوم على ترسيخ العقيدة الصحيحة، وبناء الوعي النقدي، وتعزيز الهوية الإسلامية، وإصلاح الخطاب التربوي والإعلامي، بما يسهم في تحقيق التوازن بين الانفتاح الواعي على الآخر والحفاظ على الخصوصية الحضارية للأمة.
الكلمات المفتاحية: الاستلاب الفكري، الفكر الإسلامي، الهوية، الوعي الثقافي.

المستخلص باللغة الإنكليزية:
This research addresses the issue of intellectual alienation as one of the most serious challenges facing contemporary Islamic societies, due to its profound impact on shaping awareness, directing behavior, and weakening religious and cultural identity. The study aims to clarify the concept of intellectual alienation from the perspective of Islamic thought, identify its major manifestations in contemporary reality, and analyze its causes and motivations, with particular emphasis on cultural globalization, mass media, and Western intellectual dominance.
The research adopts a descriptive-analytical approach, examining the linguistic and terminological dimensions of the concept, analyzing relevant Islamic texts, and reviewing the views of Muslim scholars and thinkers, while linking these perspectives to the current intellectual and social context of the Muslim world. The study highlights several manifestations of intellectual alienation, such as imitation of Western models, identity dualism, cultural estrangement, and the weakening of civilizational belonging.
The research concludes that Islamic thought offers a comprehensive framework for addressing intellectual alienation, based on strengthening sound belief, developing critical awareness, reinforcing Islamic identity, and reforming educational and media discourse.

Such an approach helps achieve a balanced interaction with other cultures while preserving the civilizational distinctiveness of the Islamic nation.
Keywords: Intellectual Alienation, Islamic Thought, Identity, Cultural Awareness.

المقدمة

يمثّل الاستلاب الفكري أحد أبرز الإشكاليات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، ولا سيما المجتمعات الإسلامية التي تتعرض لتحديات فكرية وثقافية متشابكة، تتصل بوسائل الإعلام الحديثة، والعولمة الثقافية، وأنماط الهيمنة الخطابية التي تسعى إلى إعادة تشكيل الوعي بعيدًا عن أصوله الحضارية. فالاستلاب بوصفه حالة من فقدان الذات الحضارية والفكرية، لا يقف عند حدود الانبهار بالآخر أو تقليده، بل يتجاوز ذلك ليطال منظومة القيم والتصورات والمفاهيم التي تشكل هوية الإنسان ومساره في الحياة. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى دراسة معمّقة لهذا المفهوم في ضوء الفكر الإسلامي الذي يمتلك أدوات معرفية وبنائية راسخة قادرة على التحليل والمعالجة والاستشراف.

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تسعى إلى تفعيل رؤية إسلامية أصيلة في معالجة ظاهرة الاستلاب الفكري، رؤية تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وتراث علماء الفكر الإسلامي، وتستكشف من خلالها جذور الظاهرة ومظاهرها وآثارها، وتقدّم سبل المعالجة المتوازنة التي تجمع بين البناء الفكري والتربوي، والنقد الحضاري، والتحصين المعرفي. كما تبرز أهمية الدراسة في أنها تتعامل مع موضوع يمسّ واقع الشباب بصورة خاصة، وواقع الأمة بصورة عامة، في ظل صراع خطابي محتدم بين الهويات والثقافات.

وتهدف الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

1. بيان ماهية الاستلاب الفكري ومفهومه وحدوده في ضوء الأدبيات الفكرية الإسلامية.
2. كشف أبرز مظاهر الاستلاب الفكري المعاصرة، وتحليل أسبابها في السياق الحضاري والثقافي.
3. استنباط سبل المعالجة وفق منهجية فكرية إسلامية قائمة على التوازن بين الثوابت الشرعية ومتطلبات العصر.

وتنبثق إشكالية البحث المركزية في السؤال الآتي:

كيف يمكن للفكر الإسلامي أن يفسّر ظاهرة الاستلاب الفكري في الواقع المعاصر؟ وما هي المظاهر الأكثر حضورًا لهذه الظاهرة، وما السبل الفكرية والتربوية والعملية لمعالجتها؟

وتستند الدراسة إلى فرضية رئيسة مفادها:

أن الفكر الإسلامي يمتلك منظومة معرفية متكاملة قادرة على تشخيص الاستلاب الفكري في جذوره ومظاهره، ويقدّم معالجة فاعلة تجمع بين البناء العقدي والتربوي، والنقد الحضاري، والتحصين الثقافي.

ويعتمد البحث منهجًا تحليليًا–فكريًا يقوم على تحليل النصوص الشرعية، واستقراء أقوال المفكرين المسلمين، وربطها بالواقع الفكري المعاصر، مع الإفادة من المنهج المقارن عند الحاجة لبيان الفروق بين التصورات الإسلامية وغيرها من التصورات الفكرية الحديثة حول الاستلاب. كما تلتزم الدراسة بمنهجية توثيق المصادر المستخدمة في بحوث العلوم الإسلامية، من كتب تراثية، ودراسات فكرية معاصرة، وبحوث أكاديمية محكمة.

وتسير هيكلية البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للاستلاب الفكري في ضوء الفكر الإسلامي.
المبحث الثاني: مظاهر الاستلاب الفكري في الواقع المعاصر.
المبحث الثالث: سبل معالجة الاستلاب الفكري في ضوء الفكر الإسلامي.

ويُختتم البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للاستلاب الفكري في ضوء الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: مفهوم الاستلاب لغةً واصطلاحًا.

يمثّل مفهوم الاستلاب أحد المفاهيم التي ارتبطت تاريخيًا بالبعد النفسي والفكري والحضاري للإنسان. وهو مفهوم تطوّر باختلاف المدارس، لكنه يرتكز في جوهره على حالة من فقدان الذات أو انفصال الوعي عن مصادره الأصيلة. ويحتاج استخدامه في الدراسات الفكرية الإسلامية إلى تحديد دقيق لجذوره اللغوية والدلالية.

أولًا: الاستلاب في اللغة:

جاءت مادة "سلب" في اللغة بمعنى: أخذ الشيء من غير صاحبه قهرًا، وسلبه عقله: أي أزال عنه توازنه وسيطرته، ويُقال: "سلبت الشيء سلبًا" أي نزعته نزعًا.[1]
فالاستلاب في معناه اللغوي يدور حول الأخذ والإزالة والانتزاع، وهو معنى ينسجم مع ما نتحدّث عنه في فقدان الهوية الفكرية.

ثانيًا: الاستلاب في الاصطلاح الحديث:

ظهر المفهوم في الفلسفات الغربية بصيغ مختلفة، منها الاستلاب عند هيغل بوصفه ابتعاد الذات عن حقيقتها، وعند ماركس بوصفه اغتراب الإنسان عن جوهره نتيجة الأنظمة الاقتصادية، غير أن الفكر الإسلامي يتعامل مع الاستلاب بصفته انحرافًا عن الفطرة أو انفصالًا عن مركز الوعي الإيماني والقيمي الذي يشكّل هوية الإنسان ومساره.[2]
ويمكن استنباط تعريف الاستلاب الفكري اصطلاحًا بناءً على ما عرضه بعض المفكرين المسلمين بأنه: " حالة من الضعف أو الانفصال القيمي، يعيشها الفرد أو المجتمع، تنشأ عن خضوع العقل والوجدان لمنظومات فكرية واحدة وضعف الأساس الفكري والروحي الداخلي، بما يؤدي إلى تراجع القدرة على الحكم السليم على القضايا، والابتعاد عن الحضارة والفطرة الإيمانية، وانعكاس ذلك سلوكًا ومواقف تتناقض مع القيم والهوية الإسلامية".[3]

المطلب الثاني: جذور مفهوم الاستلاب في الفكر الإسلامي.

لم يستخدم علماء الإسلام مصطلح "الاستلاب" لفظًا، لكنهم تناولوا مضمونه بعمق كبير، فقد تحدّث العلماء عن مفاهيم مثل:

_ الانبهار بالآخر.
_ التقليد الأعمى.
_ التشبه بغير المسلمين.
_ اتباع الشبهات.
_ الاغتراب الحضاري.

وهذه المفاهيم تُعدّ جذورًا أصيلة للاستلاب الفكري.

1. **القرآن الكريم والتحذير من الذوبان في الآخر**: يُظهر القرآن الكريم وعيًا عاليًا بحماية الوعي الإنساني من المؤثرات التي تزيّف الوجدان أو تغيّر الفطرة، يقول تعالى: **سمح**وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ**سجي** [ص: 62] فالاتباع غير الواعي للهوى هو شكل من أشكال الاستلاب الذاتي، بحيث يصبح الإنسان تابعًا لأفكار تُفرض عليه من دون بصيرة[4]، وهي دعوة إلى استقلال الشخصية الفكرية وعدم الذوبان في الخطابات الوافدة.
2. **السنة النبوية وتحذيرها من التقليد الثقافي:** يقول الرسول (ﷺ): " من تشبَّه بقوم فهو منهم"[5]، وهو نصّ يشير إلى خطر الاستلاب الحضاري الذي يبدأ عادة بالتشبه في ظاهر الأشياء، ثم ينتقل إلى تبنّي منظومات فكرية وقيمية.[6]
3. **علماء الإسلام ونقدهم للتأثر بالثقافات الوافدة**: يؤكد ابن خلدون أن المغلوب مولع دائمًا بالاقتداء بالغالب، وهو ما يصفه بوضوح بأنه انكسار في الشخصية الحضارية يؤدّي إلى ضياع الهوية الفكرية[7] ، وهذا الوصف يُعدّ من أدق التحليلات التي تعبّر عن معنى الاستلاب في السياق الإسلامي.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 3/ 215.
[2] يوسف كنعان، مفهوم الاغتراب، دار العلم للملايين، بيروت، 1998، ص 44.
[3] ينظر: محسن عبد الحميد، الفكر الإسلامي المعاصر قضاياه ومناهجه، عمّان، دار عمار، ط2، 2004، ص146-150، وينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1999، ص90-94، وينظر: عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، القاهرة، دار الشروق، القاهرة، 2009 ، 2/118-124.
[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، 1999، 2/ 311.
[5] سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم الحديث 4031، 144/6. حكم الحديث: قال المحقق: اسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه.
[6] ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، دار عالم الفوائد، مكة، 2012، 1/ 289.

4. المفكرون المسلمون المعاصرون ونقد الهيمنة الفكرية: كتب أبو الحسن الندوي عن فقدان الهوية الفكرية لدى بعض المسلمين وسمّاه «الانبهار بالحضارة الغربية»، واعتبره أبرز مظاهر الانهيار الداخلي [8]، بينما تحدّث مالك بن نبي عن «القابلية للاستعمار» ووصفها بأنها حالة فكرية نفسية تجعل المجتمع مستعدًا لقبول التبعية، وهو مفهوم قريب جدًا من الاستلاب المعاصر. [9]

المطلب الثالث: العوامل المؤدية إلى الاستلاب الفكري.

1. الجهل بالأصول العقدية والفكرية:

كلما ضعف اتصال الإنسان بأصوله الفكرية (العقيدة، القرآن، السُّنة)، أصبح أكثر عرضة للأفكار الوافدة. وقد أشار الغزالي إلى أن الجهل بأصول الدين يجعل الإنسان فريسة للشبهات والمضللات. [10]

2. الهيمنة الإعلامية والثقافية العالمية:

تصنع وسائل الإعلام الحديثة أنماطًا من الوعي الجمعي تؤدي إلى تقليد نماذج لا علاقة لها بالقيم الإسلامية، وقد أشار محمد عمارة إلى أن الغزو الفكري المعاصر يعمل على تبديل المفاهيم و"إعادة تشكيل الوعي بطرق غير مباشرة. [11]

3. الضعف التربوي وفقدان المنظومة القيمية:

أكد علماء التربية المسلمون على أن غياب البناء الإيماني والتربوي يجعل الشخصية رخوة وغير قادرة على مقاومة الاستلاب. ويشير عبد الكريم بكار إلى أن التربية الإسلامية حصن أساسي في مواجهة الضغوط الثقافية. [12]

4. الانبهار بالتقدم المادي:

يشير ابن نبي إلى أن المشكلة ليست في تقدم الآخر، بل في نظرتنا العاجزة إلى الذات، حيث يتحوّل التقدم المادي إلى معيار للتفوق الفكري، مما يؤدي إلى الاستلاب. [13]

5. ضعف الهوية الحضارية:

كلما ضعفت الهوية الحضارية للمجتمع، أصبح أكثر استهلاكًا للثقافة الوافدة وأقل إنتاجًا لها، مما يخلق بيئة مثالية للاستلاب الفكري.

المطلب الرابع: آثار الاستلاب الفكري.

1. ذوبان الهوية الثقافية والدينية:

الاستلاب يؤدي إلى تبنّي مفاهيم وقيم لا تنتمي إلى المجتمع، مما يخلق حالة انفصال بين الفرد وموروثه الحضاري.

2. ضعف التفكير النقدي:

الشخص المستلب يتلقى الأفكار بدون تمحيص، وبدون قدرة على النقد أو التحليل، ما ينعكس على القدرة المعرفية والوعي.

3. استهلاك ثقافي بدل إنتاج ثقافي:

بدل أن يكون المسلم صاحب مشروع فكري حضاري، يتحوّل إلى مستهلك للمنتجات الفكرية القادمة من الخارج.

4. القلق النفسي وفقدان التوازن:

يشير علماء النفس إلى أن الهوية المستلبة تخلق اضطرابًا في الانتماء، مما يؤدي إلى القلق والاضطراب الداخلي.

المبحث الثاني: مظاهر الاستلاب الفكري في الواقع المعاصر.

يمثّل الواقع المعاصر بيئة خصبة لتنامي ظاهرة الاستلاب الفكري؛ نظرًا لتداخل العوامل الثقافية والإعلامية والتقنية التي تُعيد تشكيل وعي الأفراد، وتخلق أنماطًا جديدة من التفكير والسلوك، تُهدّد الهوية القيمية والحضارية للمجتمعات

---

[7] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2004، ص 237.
[8] أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار القلم، دمشق، 2000، ص 115.
[9] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 51.
[10] أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص 11.
[11] محمد عمارة، الغزو الفكري، دار الشروق، القاهرة، 1994، ص 22.
[12] عبد الكريم بكار، من أجل تربية أفضل، دار القلم، دمشق، 2007، ص 64.
[13] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2001، ص 27.

الإسلامية، ولا يمكن دراسة هذه الظاهرة بمعزل عن تحليل مظاهرها الرئيسة التي تظهر في الفكر والسلوك والوعي الجمعي، والتي تتداخل فيما بينها لتنتج صورة معقدة من الانفصال عن الذات الحضارية.
وتقوم دراسة مظاهر الاستلاب على قراءة نقدية عميقة للواقع الفكري، والبيئة الثقافية، وطبيعة التأثيرات العالمية، مع مقارنة ذلك بالرؤية الإسلامية التي تُعطي مركزية للقيم، والوعي، والتميّز الحضاري.
وفيما يلي عرض لأبرز المظاهر التي تُعدّ الأكثر حضورًا في واقع المسلمين اليوم.

المطلب الأول: الاستلاب في الهوية الثقافية والقيمية.

يمثّل تشوّه الهوية الثقافية أول مظاهر الاستلاب الفكري وأكثرها خطورة، إذ يُفقد الفرد ارتباطه بمنظومته القيمية التي تنظّم رؤيته للوجود والإنسان والمجتمع. وتظهر هذه الظاهرة في عدة صور:

1. الانبهار بالنموذج الحضاري الغربي: يعاني قطاع واسع من الشباب من الانبهار غير النقدي بالنموذج الغربي، من حيث منظومته الفكرية وأسلوب الحياة، بحيث يتحوّل التقدم المادي إلى مبرّر لقبول قيم لا تنسجم مع الهوية الإسلامية [14] يرى مالك بن نبي أن المشكلة ليست في تقدّم الغرب، بل في "قابلية النفس للانبهار"، التي تُعدّ الباب الواسع للاستلاب. [15]

2. تراجع مركزية المفاهيم الإسلامية: تتراجع المفاهيم الاساسية مثل:

_ العقيدة.
_ الأخلاق.
_ الفطرة.
_ الرسالية.
_ الاستخلاف.

وتحلّ محلها مفاهيم مستوردة مثل النفعية المطلقة، والحرية الفردية المنفصلة عن الضوابط، والمادية الاستهلاكية. [16]

3. التقليد الثقافي دون وعي:

تُشير الأدبيات الإسلامية إلى خطورة التقليد، حيث يرى ابن تيمية أن التقليد الأعمى يُفقد الإنسان تميّزه ووعيه [17] ، ويظهر التقليد اليوم في:

_ أنماط اللباس.
_ أساليب التفكير.
_ نمط الحياة.
_ العلاقات الأسرية.
_ الذوق الفني.

وكلها مظاهر تُعبّر عن استلاب الهوية وتقليد ثقافي دون وعي لخطورة هذا التقليد على هوية المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: الاستلاب الإعلامي والاتصالي.

1. **صناعة الوعي عبر الإعلام:**

الإعلام المعاصر لا ينقل المعلومات فقط، بل يصنع الوعي ويشكّل القيم، يشير محمد عمارة إلى أن أخطر أنواع الغزو الفكري هو "غزو الوعي"، لأنه يؤثر على مصادر المعرفة الإنسانية[18]، وهذا ما يفعله الاعلام الغربي، والاعلام المحلي المتأثر بالغزو الفكري والثقافي.

2. مواقع التواصل وتأثيرها النفسي والفكري:

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي بيئة لبناء نماذج جديدة للذات تعتمد على:

_ المقارنات.
_ الإعجاب.

---

[14] عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، 1/ 44.
[15] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 51.
[16] زكي الميلاد، الفكر الإسلامي وقضايا النهضة، مركز الحضارة، بيروت، 2010، ص 112.
[17] ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، دار عالم الفوائد، مكة، 2012، 1/ 289.
[18] محمد عمارة، الغزو الفكري، دار الشروق، القاهرة، 1994، ص 41.

_ الاحتفاء بالمظاهر.
_ تغذية الأنا السطحية.

وهو ما يؤدي إلى تشوّه في الهوية وانفصال عن القيم الإسلامية الأصيلة [19]، كون مواقع التواصل لا تستند في ما ينشر فيها على أصل وتقاليد المجتمع، وإنما ما يفرضهُ أغلبية مستعملي مواقع التواصل الاجتماعي مما يؤدي إلى التلاعب بالمفاهيم والقيم وهي من أخطر مظاهر الاستلاب الإعلامي من خلال:

_ إعادة تعريف مفاهيم الأخلاق.
_تحويل القضايا الكبرى إلى ترف فكري.
_ ترويج نماذج من "المؤثرين" بديلاً عن العلماء والمربين.
_ جعل الترفيه مركز الحياة.

وهذه جميعها تؤدي إلى تغيير الوعي من وعي مدرك يستند إلى أصول وتقاليد المجتمع المسلم إلى وعي متأثر بالثقافة والفكر الغربي.

3. تغريب النموذج الأسري:

يُروّج الإعلام العالمي لنموذج أسري يقوم على الفردية والانفصال بين الأجيال، مما يناقض النظام الأسري الإسلامي القائم على المسؤولية والرعاية المتبادلة [20]، والتكافل والتعاون والمحبة والاخاء بين افراد العائلة الواحدة بشكل خاص وافراد المجتمع بشكل عام، لتحل محل هذه القيم قيم تتصف بالنفعية ، والتنافر، والتناحر، على أساس مصلحة الفرد الواحد دون مصلحة المجتمع.

المطلب الثالث: الاستلاب التربوي والمعرفي.

1. ضعف المناهج في بناء الوعي:

تشير دراسات تربوية إلى أن كثيرًا من المناهج التعليمية في البلدان الإسلامية تعاني من ضعف في بناء الشخصية الناقدة، وتقديم الهوية الإسلامية كمنظومة معرفية متكاملة [21]، هذا الضعف يخلق فراغًا معرفيًا يملؤه الواقع الإعلامي والثقافي بسهولة وذلك؛ لعدم وجود حصانة معرفية وتربوية لدى الجيل الناشئ، وكونه لم يتعلم وفق أساس معرفي رصين.

2. غياب القدوة التربوية:

إن غياب القدوة الصالحة يجعل الشباب يبحثون عن نماذج بديلة، غالبًا ما تكون قيمها متناقضة مع الإسلام، فيكون قدوتهم المغني أو الممثل أو الشخص المشهور على مواقع التواصل؛ وينتج عن ذلك التأثر بالقدوة السلبية، فتتغير مفاهيم وقيم الشخص المتأثر. [22]

4. استبدال المعارف الإسلامية بالمعارف المستوردة:

لا مشكلة في الاستفادة من المعارف الإنسانية، لكن الاستلاب يبدأ عندما تصبح المعرفة الإسلامية ثانوية، أو "تراثًا"، بينما تُقدَّم المعارف الغربية بوصفها الحقيقة النهائية، وينبغي الحذر من تفريغ الانسان من قيمهِ الفطرية والرحية [23]، ليكون صيدًا للقيم المستوردة من ثقافات لا تلبي الحاجات الروحية، ولا تقيم للتوازن بين الجانب المادي والروحي أي اعتبار.

المطلب الرابع: الاستلاب السلوكي والاجتماعي.

1. الممارسات الاجتماعية المستوردة:

يتجلى الاستلاب في تقليد سلوكيات اجتماعية دخيلة لا تمتّ للثقافة العربية والإسلامية بصلة، مثل أنماط الاحتفال، وأساليب التواصل بين الجنسين، وطريقة التعامل مع الوقت والاستهلاك، هذه السلوكيات تُعيد تشكيل المجتمع بعيدًا عن قيمه الأصيلة.

2. **النزعة الاستهلاكية:**

---

[19] محمد بدوي، سوسيولوجيا الاتصال الرقمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2020، ص 77.
[20] عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دار القلم، بيروت، 2005، ص 99.
[21] محمد الأشقر، التربية الإسلامية: أصولها وواقعها، دار النفائس، عمان، 2007، ص 143.
[22] عبد الكريم بكار، العيش في الزمن الصعب، دار المعرفة، بيروت، 2018، ص 55.
[23] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود والغرب، دار الشروق، القاهرة، 2003، 2/ 317.

يرى ابن خلدون أن الترف سبب من أسباب ضعف الأمم وسقوطها [24]، واليوم أصبحت النزعة الاستهلاكية مظهرًا من مظاهر الاستلاب، حيث يُقاس النجاح بالمظاهر لا بالقيم، فأضحى المقياس هو الترف والاستهلاك وجني الأموال بصرف النظر عن مشروعية كسبها، إذ ينظر اليها بوصفها غاية وهدف وليست وسيلة.

3. ضعف الانتماء للمجتمع:

تؤدي حالة الاستلاب إلى ضعف الانتماء للأسرة، والمجتمع، والأمة، مما يخلق عزلة نفسية وفكرية، ويُضعف الروابط الاجتماعية، وينتج ذلك بسبب التأثر بالأفكار الدخيلة، أمَّا إذا نظرنا إلى أصول ديننا من القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول: سمحإِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ سجى [الحجرات: من الآية 1]، ويقول رسول الله (ﷺ): " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى". [25]

المطلب الخامس: الاستلاب السياسي والحضاري.

1. فقدان الثقة بالذات الحضارية:

إنَّ أخطر ما أصاب المسلمين هو "فقدان الثقة بأنفسهم"، وأن هذا الشعور كان مقدمة كل انهيار حضاري [26] فالاستلاب الحضاري يجعل الأمة تنظر إلى نفسها بعين الضعف، وإلى الآخر بعين القوة المطلقة.

2. التبعية للنماذج السياسية الغربية:

تتبنّى بعض المجتمعات الإسلامية نماذج سياسية غربية دون مراعاة اختلافات البيئة والقيم والتاريخ، وهذا النوع من التبعية الفكرية يجعل القرارات مستوردة لا نابعة من المصلحة الحضارية الذاتية، فينتج عن ذلك أمور وقرارات وسياسات تتعارض مع قيم المجتمع المسلم الأصيلة النابعة من القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة والتأريخ الإسلامي.

3. إعادة إنتاج قيم غير إسلامية داخل المجتمع:

عندما تفقد المجتمعات معاييرها الأساسية في الحكم على الأمور، تبدأ باستعارة معايير أخرى قادمة من الخارج، فتقيس النجاح والقيمة بالمعايير المادية فقط، كما فعل بعض النخب في المجتمعات المسلمة عندما أرادوا تطبيق العلمانية في البلدان الإسلامية فكانوا على قسمين:

القسم الأول: وهم الذين استطاعوا تطبيق العلمانية لكنهم فقدوا اتصالهم مع مجتمعاتهم وابتعدوا عنهم كون معظمهم افراد المجتمع لا يستسيغ تطبيق العلمانية بمفهومها الغربي، وأمَّا القسم الآخر: فلم يستطيعوا تطبيقها؛ وذلك لرفض مجتمعاتهم ابتداءً هذه الفكرة، ولأنهم أرادوا تطبيقها حرفيًا كما في أوربا، إذ يريدون للمجتمع المسلم أن يترك دينه وحضارته ويلبس جلباب الغرب وثقافته.

المبحث الثالث: سبل معالجة الاستلاب الفكري في ضوء الفكر الإسلامي.

يمثل الاستلاب الفكري واحدة من أخطر الإشكالات التي تهدد الوعي الجمعي للأمة الإسلامية، لأنه لا يقتصر على الجانب المعرفي فحسب، بل يمتد ليؤثر في الهوية والسلوك والقيم، وفي قدرة الأمة على استئناف دورها الحضاري، وإذا كانت مظاهر الاستلاب ناتجة عن عوامل متعددة داخلية وخارجية، فإن معالجته تتطلب مشروعًا شاملًا ومتدرجًا يستند إلى الرؤية القرآنية والمنهج الإسلامي في إصلاح الإنسان والفكر والمجتمع. وفي هذا المبحث سيتم تناول أبرز مسارات العلاج وفق منهجية فكرية تحليلية، مستندة إلى أدبيات الفكر الإسلامي المعاصر.

أولًا: البناء العقدي وترسيخ الإيمان بالله:

---

[24] ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2004، ص 245.

[25] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: ٢٥٨٦، 1999/4.

[26] أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 137.

يبدأ علاج الاستلاب من تأسيس الوعي العقدي، لأن الوحي هو الذي يعيد تشكيل رؤية الإنسان للوجود، ويمنحه ميزانًا يقيس به الأفكار والقيم، فالقرآن يكرر دعوة "أَفَلَا تَعْقِلُونَ" و" أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" لأن سلامة الفكر مشروطة بسلامة المرجعية،

إذ أنّ "صلاحُ القلبِ بصلاح العلم والنية" [27]، أي أن البناء العقدي يحقق هدفين أساسين:

1. الحصانة الداخلية من التأثر بالأفكار المنحرفة.
2. القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والبناء العقدي المطلوب ليس مجرد تلقين للنصوص، بل ترسيخ لمركزية الإيمان بالله في الوعي، وإحياء مفهوم العبودية الشاملة، وربط الإنسان بغاية وجوده، ما يجعله أقل عرضة للذوبان الحضاري.

ثانيًا: تعزيز الهوية الحضارية وربط الفرد بالأمة:

تعاني المجتمعات الإسلامية من أزمة هوية بسبب تعدد المرجعيات الفكرية والضغوط الثقافية لذلك يكتسب تعزيز الهوية أهمية مركزية في معالجة الاستلاب، فالهوية الإسلامية ليست هوية مغلقة، بل مفتوحة على القيم الإنسانية، لكنها تستمد ركائزها من ثلاثة مصادر: القرآن، والسنّة، والتاريخ الحضاري للأمة، إذ أن الأمة التي تفقد هويتها "تفقد القدرة على الفعل الحضاري" [28]، ولذلك يتطلب تعزيز الهوية خطوات عملية، منها:

_ إحياء الذاكرة الحضارية عبر تدريس تاريخ الأمة بصورة تحليلية لا سردية.
_ تعزيز الانتماء عبر منظومات تربوية وإعلامية تُعيد إبراز دور الأمة كحاملة رسالة.
_ إحياء اللغة العربية بوصفها وعاء الفكر والهوية.

وهنا تظهر أهمية " المشروع الحضاري الإسلامي"، بوصفه رؤية تمنح الفرد اتجاهًا ثابتًا في عالم متغير.

ثالثًا: إصلاح المنظومة التربوية والتعليمية:

تُعد التربية أداة مركزية في إعادة تشكيل الوعي الحصين، إذ أنّ "الإصلاح يبدأ من الإنسان، والإنسان تُصلحه تربية" [29]، ومن أجل معالجة الاستلاب الفكري، يجب إعادة بناء المنظومة التربوية على أسس تجمع بين:

1. القيم القرآنية التي تشكل البوصلة الأخلاقية.
2. مهارات التفكير النقدي التي تمنح القدرة على التعامل مع المعرفة الحديثة.
3. المناهج التكاملية التي تربط العلوم الشرعية بالعلوم الإنسانية والمعرفية.

كما ينبغي إعادة النظر في محتوى المناهج، لتجنب التلقين الجامد، واستبداله بـ "التربية على الوعي" التي تُمكّن الطالب من فهم ذاته وعالمه، ليتمكن من معرفة السنن الكونية والاجتماعية إذ إن معرفتها ضرورة لفهم الواقع. [30]

رابعًا: بناء خطاب فكري إسلامي معاصر:

من أهم أدوات مواجهة الاستلاب إنتاج خطاب فكري قادر على مخاطبة العصر، ويشهد الفكر الإسلامي اليوم تحديًا مركبًا: الحاجة إلى تجديد أدواته ومفاهيمه دون القطع مع أصوله، وفي هذا السياق، يقترح طه عبد الرحمن مشروعًا يقوم على:

_ تجديد المنهج من الداخل. [31]
_ إحياء الأخلاق في مجال الفكر.
_ مواجهة العلوم الإنسانية الغربية بنقد معرفي لا تقليد أو خصومة.

ويتطلب بناء الخطاب المعاصر:

1. تفعيل مقاصد الشريعة في التفكير الاجتماعي والسياسي.
2. تحليل الظواهر الحديثة بأدوات إسلامية.
3. إعادة ضبط مفاهيم الحرية، والعدالة، والإنسان، والسعادة.

---

[27] ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج1، ص 212.
[28] محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار الشروق، ص 55.
[29] فريد الأنصاري، مجالس القرآن، دار السلام، ص 19.
[30] محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، ص 77.
[31] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ص 28.

بهذا تتحول الرؤية الإسلامية من "دفاعية" إلى "مبادرة"، تقدم بدائل فكرية لا مجرد ردود أفعال، وهذا أمر مهم في مجال التربية ومواجهة ظاهرة الاسلاب الفكري.

خامسًا: تعزيز الوعي النقدي ومهارات التفكير:

لا يمكن معالجة الاستلاب دون بناء عقل نقدي يتمتع بالقدرة على قراءة الخطابات المتنوعة، وفحصها، وتفكيك أدواتها. ويشير الغزالي إلى أن "من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر" [32]، أي أن الشك المنهجي أداة للبحث عن الحقيقة، ويتطلب بناء الوعي النقدي:

تعليم مهارات تحليل المعلومات، والتمييز بين المعارف الرصينة والمعارف المضللة، وتعزيز القراءة العميقة بدل الثقافة السريعة، وامتلاك قدرة التساؤل قبل التسليم.

ومع صعود الذكاء الاصطناعي ومنصات التواصل، أصبحت الحاجة إلى التفكير النقدي أكبر من أي وقت مضى، شريطة أن يكون الوعي والتفكير النقدي يؤدي إلى بناء مجتمع سليم، ولا يكون نقدًا هدّامًا أو غير بناءٍ.

سادسًا: إصلاح الخطاب الإعلامي وتطوير الوعي الرقمي:

الإعلام من أخطر أدوات الاستلاب، ولذلك فإن إصلاحه يمثل ضرورة استراتيجية. ويمكن العمل على اصلاحهِ عن طريق مسارين:

1. المسار الوقائي:

نشر الوعي الإعلامي بين الشباب، وتعليم مهارات التحقق من الأخبار، وفهم آليات الدعاية والتأثير لتجنب الوقوع في شرك الأخبار الكاذبة، والاشاعات التي تزعزع ثقة الفرد بنفسه أولاً ومن ثم بمجتمعهِ.

2. المسار البنائي:

ويتحقق عن طريق إنتاج محتوى إعلامي إسلامي راقٍ يركز على القيم والمعرفة، وكذلك دعم منصات تعليمية تحتوي على خطاب أصيل وجذاب، وأيضًا صناعة إعلام يعزز الهوية ويواكب العصر في الوقت نفسه.

على أن "الإعلام اليوم شريك في التربية وصناعة الوعي"[33] وهذا يعزز أهمية الإعلام، فإذا أردنا أن نصنع مجتمعًا سليمًا من الظواهر السلبية، ويعتز بهويته وانتمائه الديني، لابد من السير بالمسارين المسار الوقائي والمسار البنائي.

سابعًا: تجديد دور المؤسسات الدينية والفكرية:

تحتاج المؤسسات الدينية والبحثية إلى تجديد أدوارها بما يتناسب مع تحديات العصر. فالمؤسسة التقليدية لم تعد كافية لمواجهة الاستلاب الثقافي والإعلامي، ويجب أن تتحول إلى: مؤسسات بحثية تحليلية لا مجرد وعظية، ذلك أن النصح والوعظ لم يعد يكفي لمواجهة مشكلات المجتمع، فينبغي تشخيص الظواهر السلبية مسبقًا، والتهيؤ إلى الظواهر التي لم تدخل المجتمع من أجل صناعة مسار وقائي مسبق لها، وهنا يأتي دور مراكز صناعة خطاب فكري المعتدل والمتمثلة بالجامعات والمؤسسات الثقافية الأخرى، والمناهج الدراسية وكذلك النخب السياسية والفنية والإعلامية، إذ لابد أن تكون هذه المراكز منصات انتاج معرفة إسلامية معاصرة نعتز بهويتها الفكرية وانتمائها الديني.

الخاتمة

بعد استعراض مفهوم الاستلاب الفكري، وجذوره التاريخية، ومظاهره المعاصرة، ثم بيان سبل معالجته في ضوء الفكر الإسلامي، يتضح أن هذه الظاهرة ليست مجرد انحراف معرفي، بل هي مشكلة حضارية تمس بنية الوعي، وتنعكس مباشرة على السلوك الاجتماعي والهوية الثقافية. وقد أسهمت العوامل الداخلية والخارجية في تكريسها، كما أسهم ضعف المنظومات التربوية والإعلامية في تعميق آثارها. ومن هنا تبرز الحاجة إلى مشروع متكامل يعالج الإنسان والفكرة والمؤسسة، وفق رؤية إسلامية أصيلة ومستنيرة.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن تسجيل أبرز النتائج والتوصيات الآتية:

اولًا: نتائج الدراسة:

1. يتأسس الاستلاب الفكري على خلل في المنظومة العقدية والمعرفية، إذ يفقد الفرد القدرة على التمييز بين المرتكزات الفكرية الأصيلة والدخيلة، مما يؤدي إلى تشوّه في الوعي وتذبذب في الهوية.

---

[32] أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، دار الفكر، ص 34.

[33] يوسف القرضاوي، دور الإعلام في بناء الوعي الإسلامي، مكتبة وهبة، ص 14.

2. يدخل العامل الخارجي دورًا مهمًا في تكوين الاستلاب، عبر الغزو الثقافي والإعلامي والنماذج الحضارية المستوردة.
3. تسهم المنظومة التربوية والإعلامية الحالية في تفاقم المشكلة نتيجة اعتماد أساليب التلقين وضعف ترسيخ مهارات التفكير النقدي، مما يترك الأجيال أكثر عرضة للتلقي غير الواعي للخطابات المتضادة.
4. يمثل ضعف الخطاب الفكري الإسلامي المعاصر أحد أسباب ازدياد ظاهرة الاستلاب، إذ لا يزال هذا الخطاب في كثير من الأحيان دفاعيًا أو تقليديًا، ولا يقدم بدائل معرفية استراتيجية معاصرة قادرة على مخاطبة الإنسان المعاصر بلغته ومفاهيمه.
5. تؤكد الرؤية الإسلامية أن معالجة الاستلاب تتطلب مشروعًا حضاريًا متكاملاً يربط بين إصلاح الفكر، وتزكية النفس، وتطوير المؤسسات، وإحياء الهوية، وبناء وعي نقدي قادر على مواجهة التحديات المتغيرة.

ثانيًا: التوصيات:

1. ضرورة تطوير المؤسسات التعليمية بحيث تجمع بين القيم القرآنية ومهارات التفكير النقدي، وتنتقل من مرحلة "التلقين" إلى "صناعة الوعي"، مع تحديث المناهج بما يلائم تحديات العصر.
2. إنشاء مراكز بحثية وفكرية متخصصة لدراسة ظاهرة الاستلاب وتقديم رؤى ومعالجات عملية، تكون جسراً بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية الحديثة، وتدعم إنتاج خطاب فكري إسلامي أصيل ومعاصر ومعتدل.
3. تعزيز الوعي الإعلامي والرقمي لدى الشباب عبر برامج توعوية وتدريبية تُمكّنهم من التعامل مع المعلومات والمواد الإعلامية بوعي نقدي، وتحصّنهم من التأثر بالدعاية، والغزو الفكري، والخطابات المضلّلة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
1. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، دار عالم الفوائد، مكة، 2012.
2. ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل.
3. ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2004.
4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، 1999.
5. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
6. أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار القلم، دمشق، 2000.
7. أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.
8. أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، دار الفكر.
9. زكي الميلاد، الفكر الإسلامي وقضايا النهضة، مركز الحضارة، بيروت، 2010.
10. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩.
11. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي.
12. عبد الكريم بكار، العيش في الزمن الصعب، دار المعرفة، بيروت، 2018.
13. عبد الكريم بكار، من أجل تربية أفضل، دار القلم، دمشق، 2007.
14. عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دار القلم، بيروت، 2005.
15. عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، 2009.
16. عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية، دار الشروق.
17. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود والغرب، دار الشروق، القاهرة، 2003.
18. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، دار السلام.
19. مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1999.
20. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2001.
21. محسن عبد الحميد، الفكر الإسلامي المعاصر قضاياه ومناهجه، عمّان، دار عمار، ط2، 2004.
22. محمد الأشقر، التربية الإسلامية: أصولها وواقعها، دار النفائس، عمان، 2007.
23. محمد بدوي، سوسيولوجيا الاتصال الرقمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2020.
24. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر.

25. محمد عمارة، الغزو الفكري، دار الشروق، القاهرة، 1994.
26. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، دار الشروق.
27. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
28. يوسف القرضاوي، دور الإعلام في بناء الوعي الإسلامي، مكتبة وهبة.
29. يوسف كنعان، مفهوم الاغتراب، دار العلم للملايين، بيروت، 1998.